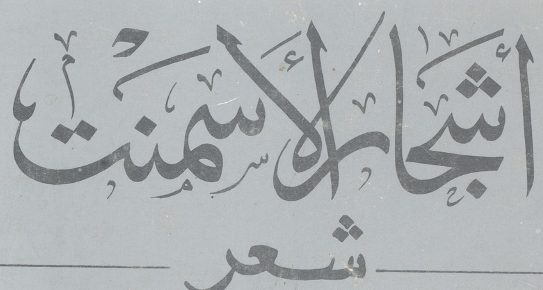
أحمد عبد المعطى حجازى







أحمد عبد المعطي حجازي

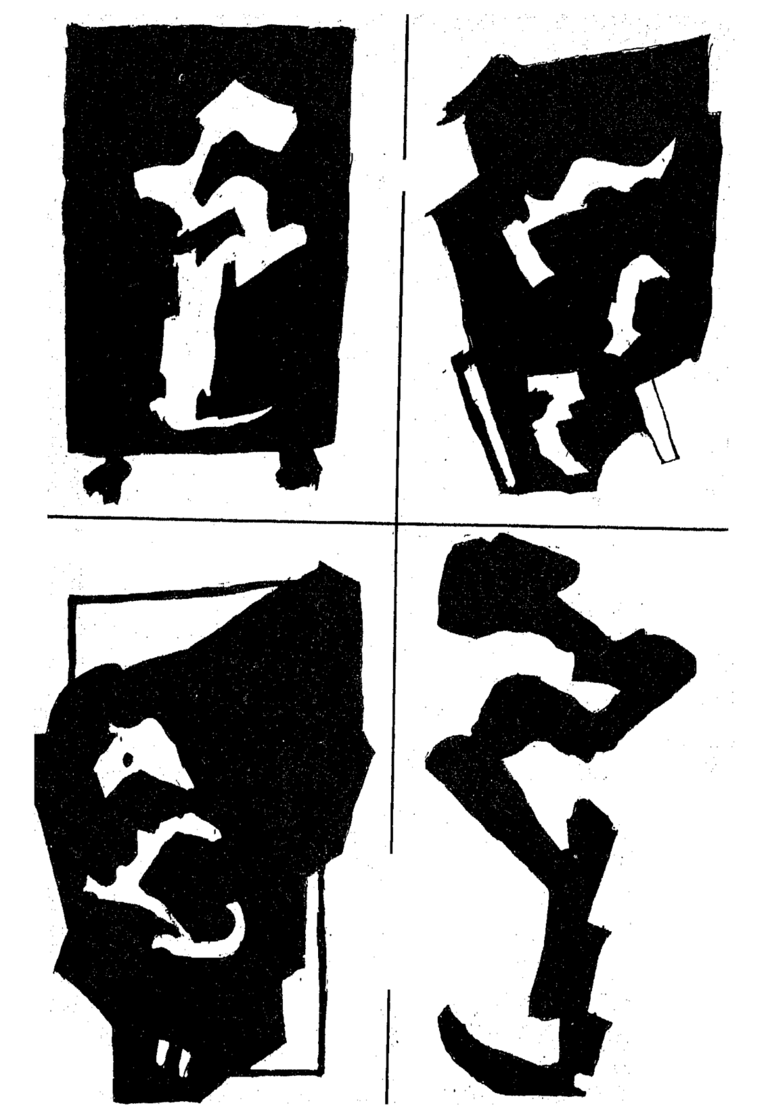
الطبعـة الأولـى
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء القاهرة
تليفون ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

الغـلاف والرسوم
للفنان : آدم حنين

المحتويات

الصفحة



مقدمة

كانَ الحنينُ مَدًى عَذْبًا ، وكانَ لنا
من وجهها كوكبٌ فى الليلِ سيَّارُ
هذا دخانُ القُرى ، مازال يتبعنا
ومِلءُ أحلامنا زرعٌ ، وأجنحةٌ
وَصِبْيةٌ ،
وطريقٌ فى الحقولِ إلى المونَى
وصُبَّارُ

فملتقى الأرضِ بالأفقِ الذى اشتعلت
ألوانهُ شفقًا ،
فالقاطراتُ التى غابت مولولةً
فى بؤرة الضوءِ ،
فالحزنُ الذى هَطَلَتْ
علىّ أمطارُهُ يومًا
فصيرتُ إلى طيرٍ ،
وسافرتُ من حزنِ الصبىّ إلى
حُزنِ الرجالِ ، فكُلُّ العمرِ أسفارُ

○

ياصاحبيَّ قِفا !
فالشمس قد رجعت ،
ولم تَعِدْ بغَدٍ .

كُلُّ المقاهي انتظارٌ . ساءَ مافَعَلَتْ
بِنَا السنونُ التي تمضي ،
ونحنُ على موائدٍ في الزوايا ،
ضارعين إلى شمسٍ تخلَّلتِ البللّورَ واهنةً
ولامَستْ جلدَنا المعتلَّ ، وانحسرت
عَنّا إلى جارنا ،
فما نَعِمْنا ، ولم ينْعَم بها الجارُ

ياصاحبيَّ !
أخمرٌ في كئوسِكما
أَمْ في كئوسكما هَمٌّ وتَذكارُ

وما الذى تنفعُ الذكرى إذا نَكأَتْ
فى القلب جُرحاً ، عَلِمْنا لا دواءَ لهُ
حتى نعودَ ،
ومايبدو أن اقتربتْ
أيَّامُ عودتِنا ، والجرحُ نَغَّارُ

هانحنُ نفرِطُ فوق النهرِ وردتَنا
وتلك أوراقُها تنأى ، ويأخذها
وراءَ أحلامِنا موجٌ وتيّارُ

ياصاحبىَّ !

أحقًّا أنّها وسِعَتْ

أعداءَها !

وجَفَت أبناءَها الدارُ ؟!

لو أنّها حوصرت حتى النهايةِ ،

حتى الموتِ ، لو سحَبَتْ

على مفاتِنِها غُلالةً من مياهِ النيلِ ،

واضطَجعتْ فى قاعِهِ !

لو سفَتْها الريحُ فانْطمَرتْ

فى الرملِ وانْدلعَتْ

من كل وردةِ جرحٍ وردةٌ

فالمدى عُشبٌ ونُوَّارُ

هذا .دخانُ قراها يقتفى دَمَنا
ومِلءُ أحلامِنا زرعٌ ، وأجنحةٌ
ومِلءُ أحلامِنا ذئبٌ نَهَشٌّ لَهُ
نسقيه من كأسنا الذاوى ،
ونسألهُ عنها ،

ونهارُ !

باريس ١٩٧٩

العودة من المنفى

لَمَّا تحرَّرتِ المدينةُ عدتُ من

منفايَ ،

أبحث فى وجوه الناسِ عن

صحبى ،

فلم أَعْثُر على أحَدٍ ،

وأدركنى الكلالْ

فسألتُ عن أهلى ، وعن دارٍ لنا
فاستغرب الناسُ السؤالْ
وسألتُ عن شَجرٍ قديمٍ ،
كان يكتنفُ الطريقَ إلى التلالْ
فاستغربَ الناسُ السؤالْ

وبحثتُ عن نهرِ المدينةِ دون جدوى ،
وانتبهتُ إلى رمادٍ نازلٍ
من جمرةِ الشَّمْس التى كانت تميل إلى الزوالْ

وفَزِعتُ حين رأيتُ أهلَ مدينتى
يتحدثون بلكنةٍ عجماءَ متجهين نحوى ،
فابتعدتُ ،
وهم أمامى يتبعون تراجعى بخطًى ثِقَالْ
حتى خرجتُ من المدينةِ مُثقلاً بحقائبى
وانهرتُ مثل عمودِ مِلحٍ
فى الرمالْ

باريس — نوفمبر ١٩٧٩

مصابيح الشوارع

المصابيحُ هاربةٌ كالطيورِ ،
ونحن نطاردُها من نوافذِنا العاليه

حين تأخذُنا ضَحوةُ الشمسِ تنأى المصابيحُ منسيةً
ثُم تحجُبنا غُرفُ النومِ ، نغشى نوافذَها
فتلوح المصابيحُ عندئذٍ
تتقدّم حيث يَحِلُّ الظلامُ ،
وتأخذُ وقفتَها تحتنا متألقةً زاهيه

فى الليالى الدفيئةِ يأتى السكارى ،
فيستأنسونَ المصابيحَ ،
لكنهم يرحلونَ ، وتبقى
تضيءُ لأنفِسها الطُّرق الخاليه

وهى فى المطرِ المتدفقِ تركضُ عاريةً تستحمُّ ،
وتُرخى جدَائِلها الشاتيه
حُزَمًا من نصَالٍ مدبَّبةٍ ،
تتناسل فى الريح مائلةً ،
ثم ترتدُّ فوقَ الحجارِ شظايا
تفورُ على بِرَكِ الضوءِ هائجةً ضاريه

والمصابيحُ فى غبشِ الفجرِ ،

تنزف أضواءَها الباقيه

خَرزًا
يَتحدَّر مُتَّئِدًا

كدموع المهرِّجِ ،
مختلطًا بالبياضِ ،
وبالحمرة القانيه .

باريس — نوفمبر ١٩٨١

الشئ

يبزغُ الشيءُ ،

فى الحُلمِ ، أو فى الحقيقةِ ،

بعد غيابٍ طويلْ

ويفاجئُنا بتفرُّدِهِ ،

وهو مُلقًى ،

وقد نبت العُشبُ من حولِهِ ،

وتوحَّشَ فيه زمانٌ جميلْ

ربّما ظهر الشيءُ فى الأمسياتِ ،
كما يظهر النورسُ المتَبشَرِّدُ من آخرِ الأفقِ ،
يضربُ فى حُلمِنا بجناحٍ ،
ويمسحُ أوجُهَنا برذاذِ الفصولْ

أو يفاجئُنا فى النهارِ ،
يندُّ بجانبِنا ، كالعَظايةِ ،
يُفزعنا ببريقِ العيونِ ،
ويملأُ أطرافَنا بالذهولْ

وَهْوَ يُوجدُ إذْ نختفى نحنُ ،
ثم يغيبُ ،
وَيرجع من نقطةٍ فى الأفولْ
نازلاً فى المكانِ الذى انسحَبَتْ عنهُ
أقدامُنا المستريبةُ ،
ينسِجُ وقتًا خفيًّا ،
ويسكنُ شَرنقةً من شعاعٍ ظليلْ

حائطٌ ،

أو بقايا على شاطىءِ البحرِ ،

أو صورةٌ تتهدّجُ فى الذكرياتِ البعيدةِ ،

أو قد تكونُ المدينةُ هاربةً من وراءِ المسافرِ ،

أو مُتوجِّهةً نحوه فى الوصولْ

وَهْوَ باقٍ

ونحنُ نَزولْ !

باريس ـــ ١٩٨١/١٠/٣١

صُنتُ نفسى عمّا يدنِّسُ نفسى وترفَّعتُ عن جَدَا كُلِّ جِبْسِ

البحترى

اختلافُ النهارِ والليلِ يُنسى اذكُرا لى الصِّبا وأيامَ أُنسى

شوقى

أغنية للقاهرة

هذه ريحُها . كأنَّ رحيلى

كان حلمًا ،

وعودتى اليومَ صحوى

هذا النهارُ نهارى

وهذه الشمسُ شمسى !

شجرٌ فى دمى يجيشُ ،

صباحاتُ خريفٍ من أوَّلِ العُمرِ

مغسولةٌ بِطَلٍّ ،

ومنقوطةٌ بسربٍ من الطيرِ ،

وآسٍ

فى الضِّفتينِ ، ووَرْسٍ

ووجوهٌ تَتَابَعَتْ فى مداراتِها ، تُنادى ،

أناديها

ولكنها تواصل معراجَها القصىَّ وتذوى

بين الأسى ، والتأسِّى

علّمني بوقفةٍ !

[هنا كان حسن فؤاد] ..

كان يسخو على السجونِ بأيّامِهِ الجميلةِ ،

يعطى الوجوهَ سمتًا وأسماءً ،

ويعطى الأشياءَ خُبزًا وماءَ

ويردُّ الفضاءَ للناسِ ، يبْنيهِ منزلاً ،

ويُشيعُ الدفءَ فيهِ ، والأُلفةَ الخضراءَ

وله الطمىُ ، والجنائنُ ، والنيلُ ،
له الفجرُ ، والشوارعُ ، والعيدُ ،
له مولدُ النبىِّ ، وشَمُّ النسيمِ ،
ينهلُ منها ، ويمنحُ البُسَطاءَ .

[وهنا كان صلاح جاهين]
ذلك الطفلُ !
كان يمشى بكفَّيهِ فى المدينةِ والقاموسِ
تنهضْ من موتها الكلماتُ
وتستعيدُ صباها
كلماتٌ ، هى البواكيرُ من كل نُطفةٍ ،
وهى الوردةُ أولى الأشياءِ ، أولى الأغانى
كلماتٌ من المدينةِ ،
من تحتِ سورِها ، شُرُفاتُ

شُرفاتٌ تزيّنتْ يومَ أن جاءَ ،
نساءٌ أسلمنه قلعةَ الروح ،
وأطفالٌ حواليه ، صِبْيةٌ وبناتُ

ذلك الطفلُ !
كيف ماتَ ؟
رأى الكِلْمةَ اللعينةَ تنسلُّ من القاموسِ لِلحُلْمِ
فاستراحَ إلى الصمتِ ،
وأطفالٌ آخرون غُوَاةُ
طلبوا الموتَ فى الصباحِ ، وماتوا !

شجرٌ فى دمى يَجِيشُ ،
نسيمٌ من أخريات الليالى
فيه شمسٌ زرقاءُ ، فُلٌّ قديمٌ
لم يزل فى دمى يفوحُ ،
وكنا
أنا والقاهرةُ الوجهَ والمرايا
خلعنا أشباهنا ،
ودخلنا الزمانَ نُصبحُ فى عمرنا الجميل ونُمسى

علّلانى بوقفةٍ !

[هنا كانت قهوة عبد الله ، ومتحف الفن
الحديث ، وإيزافيتش ، ودار الأوبرا ..
وهنا كانت ليلتى ، وسريرى
دهشتى الأولى ، واعترتنىَ موسيقى
اعترانى منها بكاءٌ ،
وكانت
تلمُّ ما فَرطَتْه مِنّى يداها
وتنهلُّ فوق جذعى رؤاها

كنتُ وحدى ،
وكان ثمّةَ موسيقى تنتهى
وأنا بين برزخٍ ، وعبورِ
وغيبةٍ ، وحضورِ

زمنٌ يلتقى منازلَه الأولى ،
فلا يدرك منها
إلا طلولا ، طلولا
أترانى بادلتُ حلمًا بحلمٍ
ووصلتُ اغتراب يومٍ بأمسٍ ؟

يارفيقىّ ! بصِّرانى
هل مدينةُ عادِ
وعليها دمٌ حميمٌ ينادى
والموت يعصف عصفا؟!

نهرٌ مهانٌ
وأيامٌ دخانٌ
وسماءٌ مرشوقةٌ بالأكاذيبِ ،
والملوك طغاةٌ
يمشون فى الناس بخسفا

يارفيقَّى !
فانشرا على البلاد قميصى
وأديرا على المنازل كأسى

« وطنى !
ماشغلتُ عنهُ » ،
ومابعت دماءً
« صُنت نفسى
عما يدنِّس نفسى »

فاكشفى هذه السحابةَ عن وجهك النقىِّ ،
أنا العاشق المقيمُ ،
مُغنِّيكِ !
حملت الاسمَ العظيمَ ،
ولم أرحل سوى فيكِ ،
فهل آنَ أن نفىءَ لِظلٍّ
وننجلى بعد لَبسٍ ؟
أصدقائى همو همو ،
وسواهم كما علمتِ ،
ولن أمزج الطهورَ برجسٍ

ويدى فى يد التى خبّأتنى فى صدرها
وبَنَتْ لى
من سِرِّها فى المنافى قصرًا
وأورت سنائى
ونوّرت لىَ حبسى

وجهها مُقبلٌ ،
رفيفُ يمامٍ
والنجمتانِ من الحزن اخضلّتا بغمامٍ
ويداها ممدودتان تقرآن جبينى
وتأخذان برأسى

وجهها مُقبلٌ
أرى الأرض تمشى فى سماءٍ قريبةٍ
وعليها من كل ماأخرجته حشاها
أممٌ تمشى ،
وأعلامٌ أراها

كما يكونُ إذا أمطرت سماءٌ ،
فهزّت أرضًا ،
ونوّرت الأفقَ ، وأبقت على الغصون نداها
وكأنّ النشيدَ يقبل من صمتٍ ،
ويهتزُّ ناحلا ،
ثم يعلو على الشفاهِ ، ويعلو
بعد ارتجافٍ وهمسٍ

يارفيقيَّ !
فانشرا على البلاد قميصى
وأديرا على المنازلِ كأسى
وأديرا على المنازلِ كأسى !

القاهرة ١٨ /٩/١٩٨٧

أشجار الأسمنت

يُقبل الوقتُ ويمضي
دون أن ينتقل الظلُّ ،
وهذا شجر الأسمنت ينمو
كنبات الفطرِ ،
يكسو قشرةَ الأرضِ ،

فلا موضعَ للعشبِ ،
ولامعنى لهذا المطرَ الدافقِ ،
فوق الحجرِ المصمتِ ،
لايُنبت إلا صداً .
أو طحلباً دون جذورْ

تُقبل الريحُ وتمضى
دون أن تعبر هذا الصمتَ ،
أو تقوى على حمل استغاثات القرى
والسفن الغرقى ،
وهذا شجر الأسمنت فى كل مكانٍ
يتمطّى ، ويخورْ

كالشياطينِ ،

ويصّطاد العصافيرَ التى تسقط كالأحجارِ ،

فى أجهزةِ الرادارِ ،

أو تشنق من أعناقهاالزُّغب ،

على أسلاكِ آلات استراقِ السَمعِ ،

فى تلك السموات التى نعرف من شرفاتنا

أن العصافير تموت الآن فيها

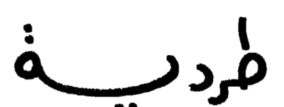
حينما يرتطم السربُ ،

فتهتزُّ قرونُ المعدِنِ الوهّاجِ فى الضوءِ الأخيرْ

يقبل الليلُ ويمضى
دون أن نشبع من نومٍ ،
وهذا شجر الأسمنت يلتفّ علينا .
والمواليد الذين اعتاد آباؤهم الصمتَ
يجيئون قصارا
ناقصى الخلقةِ ،
لايخرج من أفواههم صوتٌ
ولاتنمو خِصاهم .
والنفايات التى تلفظها الشهوةُ فى كل صباحٍ
سأمًا ، لاشَبَعًا —
توضع أكداسًا على الأبوابِ ،

والآلاتُ تلقى غيرها زُبدا ، وخَمْراً
في النهيرات التي تُفضي إلى الباعةِ ،
والأرض تدورْ !

باريس ـــ ١٩٧٩/٣/٢٠



إلى

عبد الرحمن منيف

هو الربيعُ كان ،

واليومُ أَحَدْ

وليس فى المدينةِ التى خَلَتْ

وفاح عطرُها ، سوایَ ،

قلتُ .. أصطادُ القطا

كان القطا يتبعنى من بلدٍ إلى بلَدْ
يحطّ فى حلمى ، ويشدو
فإذا قمتُ شَرَدْ
حملت قوسى ،
وتوغلتُ بعيدًا فى النهار المبتَعِدْ
أبحث عن طيرِ القطا
حتى تشممت احتراق الوقتِ فى العشبِ ،
ولاح لى بريقٌ يرتَعِدْ
كان القطا
ينحلُّ كاللؤلؤ فى السماء ،
ثم ينْعَقِدْ
مقتربًا ،
مُسترجعًا صورتَه من البدَد

مُسَّاقِطًا ،

كأنما على يدى

مرفرفًا على مسارب المياه ، كالزَّبَدْ

وصاعدًا بلا جَسَدْ

صوّبتُ نحوهُ ، نهارى كُلَّهُ ،

ولم أَصِدْ

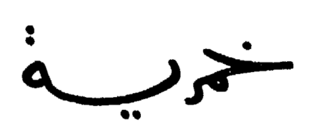
عدوتُ بين الماءِ والغيمةِ ،

بين الحلم واليقظةِ ،

مسلوبَ الرشَدْ

ومُذ خرجتُ من بلادى .. لم أَعُدْ !

باريس — ١٩٧٩/٥/١٣


خمرية

الأصدقاءُ الحميمونَ أقبلوا
في ثيابٍ جديدةٍ
من بلادٍ بعيدةٍ
وقبورِ
ساقوا سماءً الى البهو من دخانٍ
وشدُّوا
نجومَها بخيوطٍ
ورفرفوا كالطيورِ

بعيدةٌ كأسُنا الأولى ،
والوجوهُ عليها من النهارِ انطفاءاتٌ ،
والمدينة ضمّت أسواقَها
وتهاوت
تحت الزجاجِ المطيرِ

بعيدةٌ هذه الكأسُ ، والنهارُ بعيدٌ
وعن يمينٍ بساتيننا التى لانراها
لما ركِبْنا عليهم أسوارَها ، ودخلنا
كانت هناك تلالٌ
من خالص التِّبرِ ، كانت
من النساءِ عذارى
كلؤلؤ منثورِ

ورُبَّ ظبيٍ غريرِ
دعوته لسريرى !

وكان ثمَّ رُفاتٌ
يسيل بين محطاتٍ أدبرت ،
ومحطاتٍ أقبلتْ
وجسورِ
ولات حين نشورِ !

مَن يُنزِل الغيم ؟
لى فيه وردةٌ
أزهرت وحدها هناكَ ، وأبقت
جذورَها راعياتٍ
فى جسميَ المهجورِ

بعيدةٌ هذه الكأسُ ، مثلَ شمسٍ شتائيةٍ
تدورُ ، وتفترُّ عن سنىً مقرورِ
ونحن بين المرايا
نعشو لها بمهيضٍ ،
من الجناحِ ، كسيرِ

محاصرين بأشباحنا ،

نبادلها الكرَّ والفِرارَ ،

إلى أن مضى الزمانُ فقمنا

وانسلَّ كُلٌّ لمثواهُ فى الظلامِ الأخيرِ

الأصدقاءُ الحميمون أقبلوا

فى ثيابٍ جديدةٍ

من بلادٍ بعيدةٍ

وقبورِ

ساقوا سماءً إلى البهوِ من دخانٍ

وشدّوا

نجومها بخيوطٍ

ورفرفوا كالطيورِ

باريس — ١٩٨٤

الرجل والقصيدة

إلى
صلاح عبد الصبور

ماحيلتى ؟ وخطاىَ أقصرُ من خطاكْ
تروح مستبقًا ، فتسبقنى ، وتنأى ،
ثم لا ألقاك إلا فى نهايات الطريقْ
وعليك من ذكرى المغامرةِ افتضاحٌ فاتنٌ ،
وعليك أصواتٌ ، وألوان ،
قطوفٌ من بواكير الخليقةِ ،
أو رؤى مما تزخرف فيكَ ألسنةُ الحريقْ !

وأنت تُبعث من رمادك طيبا
وتعود للمقهى ،
فتشرب كأسنا ، وتموتُ ،
هل هو موتك المنشودُ ،
أم موتُ القصيدةِ مشتهاكْ ؟

وكلاكما متبرِّجٌ لرفيقهِ
وكلاكما ذاوٍ ، ومنطَفىءٌ على طرف السريرِ ،
وأنت تبحث فى صباها ، دون جدوى ،
عن صباكْ !

○

خبَّأتُ كنزى فيك ، أبتها الصبيةُ ، وارتحلْتُ
علَّمتُ جسمَك لونَ جسمى ،
صوتَه الجيّاشَ ،
حتى صرتِ لى لغةً ، وذاكرةً ،
وها أنا مُذْ رجَعْتُ

عارٍ ،
أفتِّشُ فيكِ عن وجهى القديمِ ،
فلا يطلُّ علىَّ من خلف الحجاب سواكِ أنتْ !

هى وردةُ الليلِ الفريدةُ ،
تصطفى رجلاً ، وتمنحه بهاءَ الكُلِّ ،
تُسكِنُه سريرتها ، وتُرضعه الخلايا والعروقْ
وهل تُنيلك منتهاها ،
قبل أن تنجابَ عنك وجوهك الأخرى ،
وتدرك منتهاكْ
وأنتَ وحشٌ ، وعَذْبٌ
كنتَ تُجفل حين توشك أن تنالَ ،
وكنت مشدودًا إلى شىء هناكْ
وكنت تفتنها بحزنك ، ثم ترحل هاربًا منها ،
وتعبر فى فيافى الروحِ من ضيق لضيقْ

وتعود للمقهى ،

فتشرب كأسنا ، وتموتْ

هل هو موتُكَ المنشودُ ،

أم موتُ القصيدة مشتهاكْ ؟

كانت لها كُلُّ الوجوهِ !
وكنتُ أطرق كل ليل مخدعًا ،
لأطارد القمر المراوغَ ،
صاعدا فى عتمة الشرفاتِ من حالٍ لحالٍ
نازعًا وجهَ الغريم ، ولابسًا وجه الصديقْ

وتُطلُّ مثلَ الحلم زاهيةً ،
فأدعوها إلى كأسٍ ، وأتبعها إلى نهر المرايا
نرتدى أحلامَنا الأولى
إلى أن نبلغ الزمنَ النقىَّ ،
فلا نخوض ، وننتهى ،
حتى يداهمنا الشروقْ
فنفرُّ عُريانين ، نغرق فى نفايات النهار ،
ويستحيل جمالُنا كِسرًا على الأبوابِ كاسفةَ البريقْ !





أنكرتُها ؟ أم أنكرتنى ؟
والنهارُ مخافةٌ .
زمَنٌ يُعَرِّينا ، وذو الوجهِ الكئيبِ
تسيل بسمتُه على شفتيه سُمًّا ،
والطريق
لا أمْنَ فيه ، ولا رفيق !

وأظلُّ منتظرا لقاءَ الليلِ ،
تأتينى إذا دخل المساءُ ،
وهزّها ريحٌ من التذكارِ ،
فانفطرت حجارتها حنينًا كنت وحدى من يُحسُّ به

كأنى فى الحجارةِ نبضةٌ ،
أو فى نوافذها البعيدةِ ضوءُ مصباحٍ غريقْ
تنحلُّ أصواتُ الشوارعِ ، والسخونةُ ، والغبارُ
إلى طنينٍ لامعٍ
وتلوح لى هى فوق أشياءِ النهارِ شفيفةً كالمستحمةِ ،
تشرئبُّ إلى اعتناق فضائها النائى
مرفرفةً على السفح العتيقْ

وأنا انتظرتُ مجيئَها ، ثُم انتظرتْ
ضيّعتُّ كنزى فى الشوارع ،
وانتحرْتْ !

الآن ينكسرُ الشعاعُ على المدى
ويرفرف الوجهُ الطليقْ
والآنَ تبتدىء القصيدةُ ،
تخرجُ الأسماءُ عاريةً ،
وينفصل الرمادُ عن البريقْ !

ألقاك أين الآن !

والمنفى بعيدٌ ، والبلادُ تناقلتك .

أأنت فى رجع اليمامْ

إذا ترقرق فى امتدادات الزمرّدِ ،

حيث ينفرط الغمامْ

أم أنتَ فى الطمى الطرىِّ ،

إذا تخلّع فى الظهيرةِ عاريًا

متعطرا بشذاه ،

فى الصمت الممزَّقِ بالنعيب وبالبغامْ

أم أنتَ فى الطمى القديمِ ،

إذا تَفتّتَ تحت أقدام الشموس

العابرات عليه من عام لعامْ

ها أنت تسبقُ مرةً أخرى ،
افترقنا ياصلاحُ ، ونحن نشربُ !
نحن من سفرٍ أتينا للّقاءِ ، وكنت تنأى
والشرارةُ فيكَ تزهرُ ،
واللوامعُ ،
فالطوالعُ ،
فالبروقْ
أقمتَ أرضَكَ ،
وانتصبت على مجاهلها القصيّةِ غارقًا فى الضوءِ ،
تلك قصيدةٌ أولى ،
وخلف الظن ثَمَّ قصيدةٌ أخرى ،
وبينهما تنام ، وتستفيقْ !

باريس — صنعاء ديسمبر ١٩٨١

الرجل والظل

إلى

عبد الفتاح غبن

يومَ تَركناهُ وسافرنا ،
اشترى فى الغسق النازل خبزا وشموعا
ثم عاد وحدهُ ،
يجوس فى غرابةِ البيتِ !
كان العشاءُ حاضرًا ،
ومقعدان ،
وأغانٍ كالعظايا ترتقى حوائط الصمتِ

نادى ،

فلم نأت !

وكانت القاهرةُ الآن طنينًا مضمحلاً .

هذه القلعةُ كانت دائما تنهض فى شُبَّاكِه ،

تشبهه مئذنتاها ،

وهو يلقى ظِلَّهُ فى زَبَدِ الوقتِ

لا بُدَّ أن نطالعَ المرآةَ ،

أو نُصابَ بالجنون والمقتِ

نادى ،

فمارَدَّ سوى الظلِّ الذى خَفَّ له

معتدل السمتِ

ظِلٌّ رشيقٌ ، بارعٌ

أجمل من إبنٍ ، ومن بنتٍ ،

نادمه

حتى انقضى العامُ ،

وعدنا نطرق الباب عليه فبكى

واختار أن يبقى مع الْ موتِ !

باريس ــ ١٩٨٥/٩/٢٥

قطار الجنوب

إلى

أمـــل دنقـــل

حين شَقَّت على قلبه المتصدِّعِ رؤياه فينا
أتى لابسًا كَفنًا
ومشى فى المدينة يمسح أركانَها
وهى غافلةٌ
متلألئةٌ لاتزالْ
يوم شدَّ إليها الرحالْ
سقطت فى ذراعيه ميتةً
يوم شدَّ إليها الرِّحالْ

يومها كانت الشمسُ تشرقُ ،
والنهر يركض فى الصيف ركضَ الغزالْ
كانت الريحُ خضراءَ ،
والصيفُ أشقرَ ،
والأمهاتُ يدغدغن أطفالَهنَّ على الشرفاتِ ،
وكانت سماءُ المدينة عامرةً بالنجومِ ،
وأهراؤها بالغلالْ

وأتى لابسًا كفَنًا .
إنه عرسُهُ العدَميُّ !
.نهايتُه فى الخرابِ الذى انبلَجَتْ منه رؤياهُ !
ها أنتِ لألاءةٌ كالسرابِ ،
وشاهقةٌ كالجبالْ

وأنا أتفرَّس فيكِ ،

وأشهد ماتستر الضحكاتُ من الخوف والجوعِ ،

أعلم أن المدائنَ تأخذ للموت زُخْرُفَها

فتعالْى ! تعالْ !

هكذا اندلعت فيه رؤياه ،

صار لها جسدًا يتلاشى ،

إلى أن تجلَّتْ ،

وقد ماتَ ، فى ذروةٍ واكتمالْ

ياقطارَ الجنوب الذى يتشرَّدُ فى روحنا كابن آوى ،
قطارَ الجنوب الذى باعنا فى الشمالْ !
إنّ فى رَحْلنا من تراب الطفولة قبرًا لنا
فأَضِعْنا ، ولا تقتلعنا ،
لنرجع يومًا إلى الأمّهاتِ ،
ونُولد بعد صِبىً واكتهالْ !

ناجِلاً ، يتفّيأ وحشتَه ،
جارحًا ، وجريحًا ،
ومحتشما ، وهو يهذى بما لايقالْ
وهو ممتشقٌ ظِلَّهُ فى الزحامِ ،
يهشُّ به فى الشوارعِ ،
من ضحوة الشمسِ ،
حتى تنوسَ عليه المصابيحُ فى أخريات الليالْ
وحواليه من كائناتِ المدينةِ ،
ما استنقذت يدُه من أوابدها

قططٌ ضالَّةٌ ،
وكهولٌ فرادى ، ينامون خارج أجسادِهم ،
نسوةٌ يتبرَّجن فى سَكرة الموتِ للقادمين ،
وأقنعةٌ ،
وفُتاتٌ من الرغباتِ الصغيرةِ ،
تنبض مثل اليراعاتِ ، دون اشتعَالْ

أتُرى كان يُمعن فى الهزءِ ،
وهو يزخرف أنباءه بالخرافةِ ،
وهو يطامن من خوفنا بالمجانةِ ،
وهو يحلِّق فى اللحظات ،
وما كان يشهد غير المآلْ

أم تراه ، وقد هالَهُ أن تكون نبوءتُه الحقَّ أنكرها
واستراحَ إلى سِنَةٍ من ضلالْ

كان ينشج فى الطرقاتِ ،
ويضحك منخطف الروحِ ،
وهو يرى النذُرَ السودَ طالعةً
ويرى وشمها فى وجوه الرجالْ

أنا راءٍ قضيبًا من النارِ فوق المدينةِ ،
يأخذها بالنواصى ،
قُرى تعبر النهرَ ،
حيث تصير قبورًا مفتَّحةً فى الرمالْ

أنا راءٍ سنابلَ خضراءَ تأكلهنَّ سنابلُ يابسةٌ
مطرًا من جرادٍ يجىء على شجرٍ من صلالْ

أنا راءٍ إلى جسدى راجعًا بعد موتٍ طويلٍ ،
وقد نسيته شوراع لايتذكرها
وأنا كنت أُولمُ منه لها فى السنين الخوالْ
كنت أرسمها صورًا فيه ،
أفرطه كلماتٍ لها وقوافىَ ،
أمنحه للجسور التى تتباعد ضفّتاها ،
وأُطلقه حيث مازال فى الوقت شيءٌ يُطالْ

ياقطارَ الجنوبِ الذى يتشرّدُ فى روحنا كابن آوى ،
قطارَ الجنوب الذى باعنا فى الشمالْ
إن فى رحلنا من تراب الطفولة قبرًا لنا
فأضعنا ، ولاتقتلعنا ،
لنرجع يومًا إلى الأمهاتِ ،
ونولد ، بعد صِبىً واكتهالْ

جاء فى الوقتِ ، ثم اختفى
بعد أن قال فينا كلامًا ، وألقى السؤالْ !

باريس ـــ القاهرة ١٩٨٤/٤/٢٣

يوتوبيا

إلى

جـاك بـــيرك

فلنقل ، نحن هنا أندلسيُّونَ !
فلا نطلب فى الأرض سوى مايطلب الحُجَّاجُ ،
أبناءُ السبيلْ

ولنا من لُغةِ اللهِ كلامٌ
نتهجّاه على تجعيدة الصخرِ ،
ونقراه مع الطيرِ هديلا بهديلْ

واتّحدنا بالمسافاتِ ، وبالوقتِ ،
فما عاد لنا بدءٌ ، وماعادَ وُصولْ

ولنا البرزخُ ، والمعراجُ فينا
واتصال القدم العارى بماء البحر ،
أو بالرمل عشقٌ وحلولْ

الصحارى استرجعت فردوسها
والبحر مِنْ أعلام مَنْ مرُّوا عليه أرخبيلْ

واكتشفنا وطنا فى زهرة الدِّفلَى
ووقتًا صافيا يرشح فى الوديان من كرِّ الفصولْ

ثَمَّ وجهُ اللهِ ،
والكونُ الذى يمتدّ مابين امرىء القيس إلى لوركا
ومن دِلْفِى إلى قبر الرسولْ

ولنقُلْ ، إنك شيخُ الوقتِ ،
فانهض أيها الشيخُ الجليلْ
آن أن يستأنف الأندلسيون الرحيلْ !

باريس — يونية ١٩٨١

مقاربة الوجه الهارب

إلى

جورج البهجورى

سُلَّمُكَ العالى ، إلى أين يُؤَدِّى ؟
درجٌ يصعدُ ،
والروح تَحنُّ للقرارْ

وسان لويس يرتدى دخانه الشاتى ،
وقبعاتِهِ ،
وأنتَ فى لغو الرذاذ ، والحجارْ
فى برتقالِ الضوءِ تنقل الخطى
فى عبق من النبيذ ، والبَهارْ
فراشَةٌ
تَجْمعُ ماضيَّعت الرحلةُ من ألوانِها
طِفلٌ قديمٌ
مُبحرٌ فى زهرةِ البشنينِ ،
ناصبٌ شِبَاكَهُ لأقمارِ النهارْ

تحتكَ موجٌ من كتابةِ الملوكِ ،
سَمَكٌ مُقدَّسٌ
وبين أيديك كَراكيٌّ تناوش الفَراغَ بالجناحين ،
وتقطع المدارَ بالمدارْ
وثَمَّ ، فى أيقونةٍ ، وجهُ ملاكٍ ،
أو جيوكاندا بعينين تفيضان اشتهاءً صامتًا
لاينطفى له أُوارْ
وليس فى الحاضرِ إلا كُتَلٌ من أوجُهٍ خرساءَ ،
من حوائطٍ عاليةٍ صمَّاءَ ،
رعبٌ حجرىٌّ ، وذهولٌ ، وانتظارْ
ثورٌ خرافىٌّ يجىءُ كُلَّ ليلةٍ ،
ويمشى تحت مصباحٍ جليدىٍّ ،
ويمضى
دون أن يتركَ من صورتهِ إلاّ البوارْ

سُلَّمكَ الغالى ، إلى أين يؤدِّى ؟
درجٌ يصعدُ ،
والروحُ تحنُّ للقَرارْ

وسان لويس يرتدى دُخانَهُ ،
ويمنح الأغرابَ وجهَهُ الجميل المستعارْ
وأنت فى لغو السلالاتِ وحيدٌ ضائعٌ
تخصف من إيقاع وقتين على الصمتِ ،
وتجبر انكسارًا بانكسارْ

كيف تَرى مالا يُرى ؟!
وتقنص الرؤيةَ والذكرى مَعًا
وكيف تبنى من دمارْ ؟!

الاستعاراتُ غواياتٌ !

ولاَيُترجم اللذةَ والموتَ سوى اللذةِ والموتِ
وهاأنت سُدًى تعلو
وراءَ وجهها الهاربِ خارجَ الإطارْ

بيداءُ من لونٍ ،
شظايا جسدٍ فى مُطلقٍ من عرى ردفيهِ ،
ومن نزوتِهِ نبضٌ يشيعُّ فى الغُبارْ

لاشيءَ فى اللونِ سوى اللونِ .
نبيذٌ غاضَ ، والعاريةُ ارتدت ثيابَها
وخَلَّفت فوضى السريرِ ، ورطوبةَ الجدارْ !

باريس — ١٩٨٦

قصيدة الغسق

إلى

الصبى الفلسطينى الذى
عاد إلى بلاده
فى طيارة من ورق !

نستطيعُ إذنْ أن نطير إليها ،
كما طار هذا الصبيُّ النَّزِقْ
نستطيعُ إذنْ أن نُتِمَّ قصيدتَهُ ،
نتعلَّمَ رقصتَهُ ،
فى سديم الغَسَقْ !

أَلصبيُّ النَّزِقْ
الذى رفَّ كالكروانِ ، يُسبِّحُ للهِ ربِّ الفَلَقْ
والذى حَطَّ يعتنقُ الأرضَ .
أىُّ صبىٍّ جميلٍ !
تهدَّجَ فى جسدِ امرأةٍ ، وانْدَفَقْ

نحن فى حاجةٍ لوَرَقْ !
فالقصيدةُ أبسطُ من نقطةٍ فى البياضِ ،
القصيدةُ مِلحٌ ، ونضحُ عَرَقْ
وخيوطٌ نَشُدُّ بها ريشَنا القُزحىَّ ،
القصيدةُ موتٌ قصيرٌ يعود بنا لطفولتنا
ويُسَرِّبُنا فى المساءِ الدَّبِقْ

نحن فى حاجةٍ للهواءَ الذى سيجىء من البحرِ ،
حين يرانا نعاود هذا الأُفُقْ

لنسيمٍ خفيفٍ نَشِبُّ عليه ،
وقطعةِ غيمٍ تسير الهوينى بنا ،
ثم تهبطَ فى بقعةٍ من شَفَقْ

ياإلٓهى ! وهذا الندى كُلُّهُ فى يدىَّ ،
وهذا الحَبَقْ
والسماءُ التى أنزلتنى تودِّعنى
والدروبُ تطاوعنى ، والنجومُ حَدَقْ
ودمٌ عادَ سيرتَه فى العروقِ الحميمةِ ،
وانثالَ إيقاعُه ، واتّسَقْ

ياإلٰهى ! وإخوتنا الشعراءُ يسيرون من نَفَقٍ لِنفَقْ
لهمو لغةٌ لاتؤدِّى إلى أُفُقٍ
ولهم ورقٌ يحترقْ !

باريس — يناير ١٩٨٨

خمس قصائد قصيرة

صباح

هذا الصباحُ يجيء من أمسٍ
شمسٌ سوى شمسِ الخليقةِ ،
رفرفت فى يقظتى الأولى ،
رفيف فراشةٍ
عادت إلى الركن القديم ،
فأيقظت فيه الهباءَ ، ونَوَّرَتْهُ ،
بينما تلغو الخليقة فى تخوم اليقظة الأولى
وتتبع دورة الشمسِ !

صباح آخر

رَجْفةٌ فى نسيمِ الصباحِ ،
شميمُ الصحارَى التى انعقد الطلُّ فى رملها ،
حيث يحترق العشبُ .
هذا أوانُ البكاءِ على الراحلينْ

غير أنَّ الزمانَ مضى
والذبن افتقدناهمُو حين ماتوا
ألفناهمُو ميتينْ !

عراء

ربِّ ! أيُّ حنينْ !
سُمْتنى عصفَهُ ، وأنا أحتسى قهوتى
فى العراءِ الحزينْ

الضُّحى شاحبٌ
والمدينةُ مرسومةٌ من صدًى وطنينْ

صمت

ها أنا أحرث الصمتَ ،
ها أنذا أُشعل النارَ فى الصمتِ ،
أُسرج من صافناتِ القوافى
مُهرةً ،
وأطاردُ صمتَ الفيافى !

الاسكندرية ـــ سبتمبر ١٩٨٨

غزل

أَكُلَّما أوغلتُ فى العمر تزيدين صِبا
متى إذن لقاؤنا ؟
ليلٌ فسيحٌ ،
ليس لى فيه سوى غيابِكِ الحميمِ أُمًّا وأبا !

منتصف الوقت

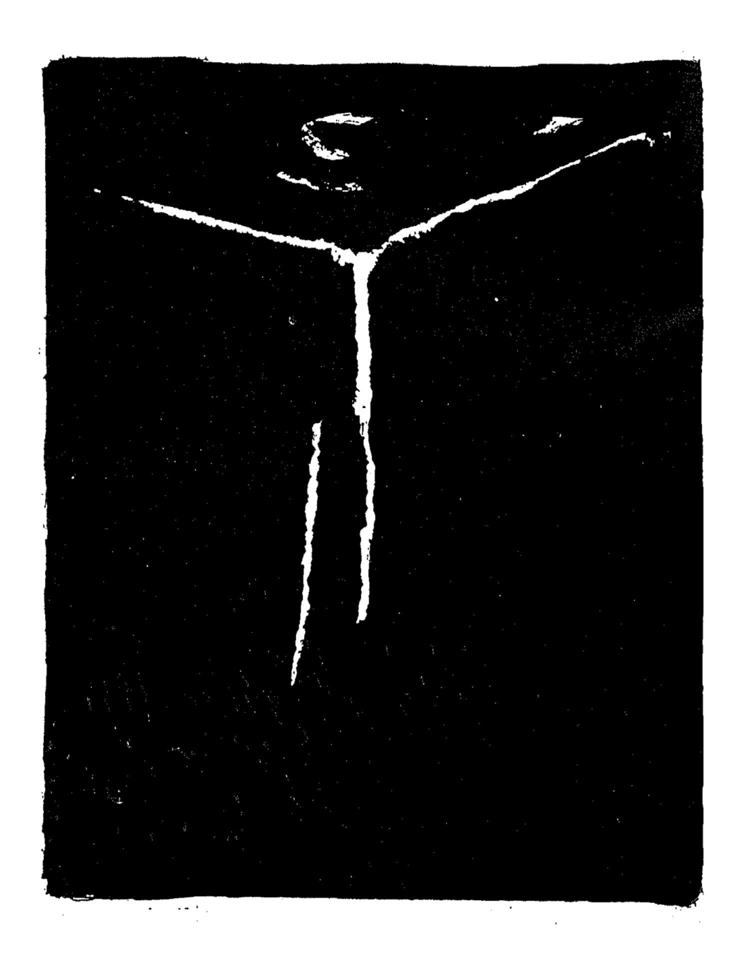
إلى
جمال الدين بن الشيخ

كأنى فى انتصاف الوقتِ ، حين خرجت من ظِلِّى
يعرِّينى فراغٌ عاصفٌ يلتفُّ من حولى
كأنى فى انتصاف الوقت أُولَدُ ، أو أموتُ ،
كزهرةٍ تشهقُ فى منحدر السيلِ

أقول لهذه الأرضِ البعيدةِ : لاتنادينى !
ولاتستعجلينى !
لم تزل ريحى تهبُّ ،
ولم تزل لى دورةٌ أُكملها
قبل غروب الشمسِ ، أو منتصف الليلِ
ومايعجلنى ؟ لا التاجُ معقودٌ على رأسى
ولا ينلوبَ عاكفةٌ على نولى !

خِضَمٌّ من ظلامٍ يعترى روحى
ومن مدن الغيابِ مدائنٌ أوغلتُ فى ظلماتها
وأكلتُ من مَنٍّ ومن سلوى
وحولى من رمادِ الوقتِ ،
من موتاىَ زُوَّارُ
مَصابيحٌ مُحنَّطَةٌ ،
نوارسُ فى المدى الكابى
تخلِّص نفسها منهُ ، ولاتقوى
وحولى ساحراتُ الطرفِ ، أبكارُ
يُغنِّينَ ،
فأدنيهنَّ من ظِلِّى
وأُلبِسُهنَّ منهُ كل ليلٍ بُردةً ،
حتى إذا انتصف الزمانُ رأيتنى محوا

خذينى ياقطاةُ ،
ورفرفى فى الطَّلْحِ والأَثْلِ
لِدينى من سرابِك مرةً ثانيةً ،
أو بدِّدِينى ، واقطعى حَبْلِي !



أرى بلَدًا غريبًا ،
لم أشاهد مثله منفىً ، ولا وطنا
ولا أعلم كيف اتخذته أمةٌ سكَنا

أرى ما يشبه الأرضَ ،
كأنَّ الأرضَ ماتت فهى فى اليد دمنةٌ خضراءْ

أرى ما يشبه الغيمَ ،
كأنّ بيارقًا كالعهنِ قادمةٌ من الماضى
أو انَّ عناكبًا فى الأفق تنسجِ من هباءِتِهِ
نسيجا باليا عَفِنَا

أرى وقتًا يَمُرُّ ولا يمرُّ ،
كأنَّ شمسًا كُلَّما ولدت نهارًا فى الضُّحى
أكلته قبل مغيبها ،
عودٌ على بدءٍ ، ووقتٌ ينسخ الزمنا

أرى ما يشبه المدنا
طلولٌ من مآذنَ ،
من مداخنَ كالزعانف فى فقار بهيمةٍ حجريّةٍ
وأرى سراطين الحديد تمجُّ أعناقًا ،
وتُطلع أوجُهًا وحشيَّةً
وأرى هلاما فى الشوارع نازفًا
يشهق فى أصدافهِ الرمليةِ الصفراءْ

تشبَّثْتُ بسارية السفينةِ

وهى تهوِى فى دوار اللُّجَّةِ السوداءْ

إلى أن طا ّحتُ بى الريحُ فوق جزيرة الطاغوتِ

كان هناك ، لا أحدٌ سواهُ ، يطحنُ الصمتا

ويعوى مثلما تعوى الذئابُ ، وينفثُ المقتا

وينظرِ ، لايرى من أىِّ شىءٍ غيرَ شِقٍّ واحدٍ ،

فهربتُ فيما لايرى ،

حتى بلغتُ مساكنَ الموتى

وناديتُ أبى !

أسلمته الكنزَ الذى أودعَهُ عندىَ ،

وارتحتُ على أضلاعِهِ

هل ليلةً ؟
هل سَنَةً ؟
حتى سمعتُ كأنَّ عاصفةً تُكلِّمنى
وأنّى أعرف الصوتا
ورفرفت القطاةُ على جبينى ،
مُدَّ لى فى ظُلمةِ التابوتِ ضوءٌ ،
رحت أصعد حبلهُ ، وأطالع الوقتا

أقول لهذه الأرضِ البعيدةِ :
أشرِقى من عَتْمةٍ !
وتجسَّدى من كلمةٍ !
وتشرَّدى مثلى !

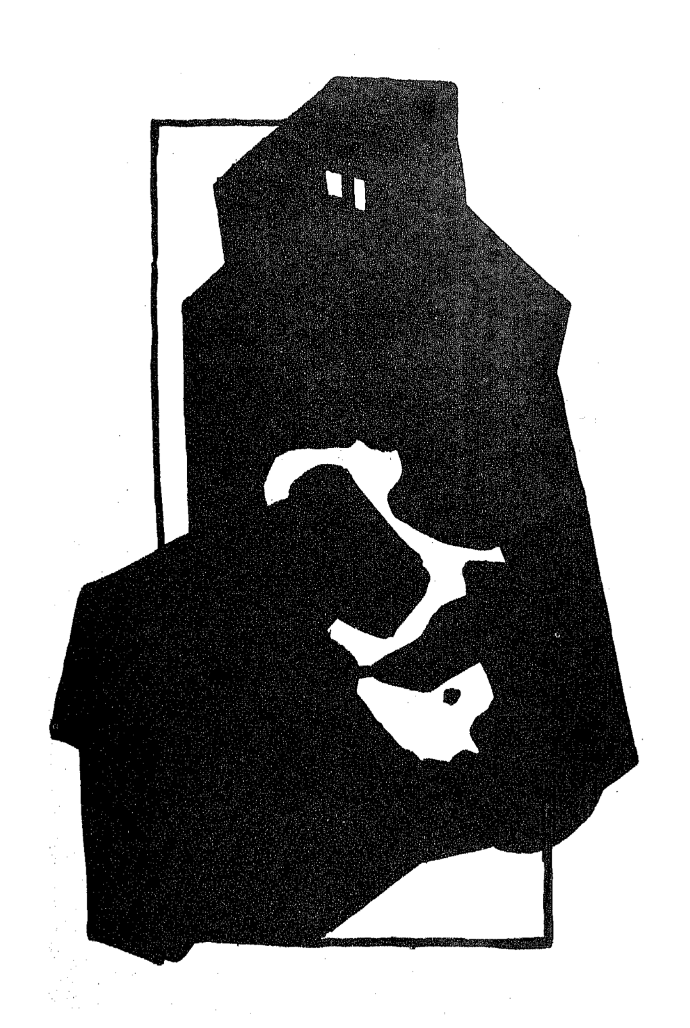
أقول لها :
لقد مِتِّ معى ، فابتدئى الآن مَعى
ياوردةً تُزهر فى المَحْلِ

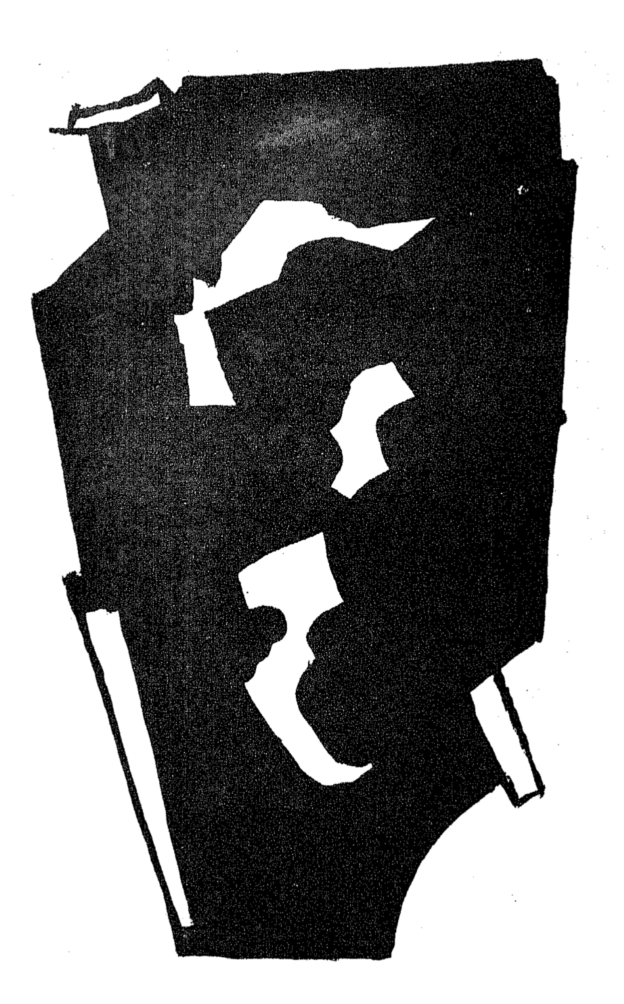
أقول لها : اتبعينى ! لاتناديني !
ولاتستعجلينى !
إننى أمضى على رِسْلى

ولى شَرطان ، ينبلجان يومًا فيكِ ،
حينئذٍ يلوح شراعىَ الضِّلّيلُ ،
أبيضَ ، فى غروب الشمسِ ، أو منتصف الليلِ
ومايعجلنى ؟ لا التاجُ معقودٌ على رأسى
ولا بِنلوبَ عاكفةٌ

على نولى

باريس ـــ ١٩٨٩/٣/١٠





رقم الايداع بدار الكتب

٥١٦٩ / ٨٩

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام
التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء - القاهرة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر